بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 25-6-2011م **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

((المنهج المسلوك في سياسة الملوك))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيٍّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله.

أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء 85]. **وقال سبحانه:** ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه 114] **وقال سبحانه:** ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر 9] **وقال جل من قائل:** ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة 11]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن سليمان بن داوود عليهما السلام خيّره الله بين العلم والملك، فاختار العلم فأعطاه الله تعالى العلم والملك جميعاً.

وكان يقال: إذا أراد الله بالناس خيرا جعل العلم في ملوكهم ، والملك في علمائهم .

عنوان خطبة اليوم:

(المنهج المسلوك في سياسة الملوك).

- **أيها الإخوة:**

يتألف الفقه الإسلامي من خمسة أقسام كبيرة: العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية، والقضاء، والسياسة الشرعية.

في هذا الباب الخامس الأخير مباحث مهمة يتناولها فقهاء الشريعة متعلقة بنظام الحكم في الإسلام يتحدثون فيها عن سلطة التشريع وسلطة التنفيذ والسلطة القضائية، وعن الإمامة والجهاد والعلاقات الدولية من سلم وحرب وعن الولايات وعن الأموال السلطانية.

ولهذا الباب مصادر ومراجع كثيرة، أحببت أن أطلعكم على شيء منها، وأقدم بين أيديكم تقريراً في الخطبة عن واحد من هذه المصادر لنفيدَ منه ويفيد مَنْ يستمع إلى هذه الخطب علماً وعملاً.

اسم الكتاب: (المنهج المسلوك في سياسة الملوك).

المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الله الشيزري، من وفيات عام 589 هـ.

جاء الكتاب محققاً في(799 صحيفة) ، ومؤلف الكتاب – عبد الرحمن– قاضٍ مهتم بالفكر السياسي في الإسلام، ولد في قلعة شيزر بالقرب من المعرة في الشام وإليها ينسب (الشيزري)، وله عدد من المؤلفات العلمية .

أما كتابه (المنهج المسلوك) فيعده العلماء إحدى جواهر الفكر السياسي الإسلامي، وقد وضع كتابه هذا هدية للسلطان صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه.

قال في مطلع كتابه:

(لما كان المولى الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ممن يرى الأدب وفضله، ويؤثر العلم وأهله، جمعت لخزانة علومه هذا الكتاب، وهو يحتوي على ظرائف من الحكمة، وجواهر من الأدب، وأصول في السياسة وتدبير الرعية، ومعرفة أركان المملكة وقواعد التدبير ... وسلكت في ذلك كله طريق الاختصار، ومذهب الإيجاز؛ لئلا تمجه الخواطر، وترفضه الأسماع، وسميته: المنهج المسلوك في سياسة الملوك).

جعل الشيزري كتابه عشرين باباً:

الباب الأول: في بيان افتقار الرعية إلى ملك عادل، **والثاني**: في بيان فضل الأدب، وافتقار الملك إليه، **والثالث**: في معرفة قواعد الأدب، **والرابع**: في معرفة أركان المملكة، **والخامس**: في معرفة الأوصاف الكريمة، والحث عليها، **والسادس**: في معرفة الأوصاف الذميمة، والنهي عنها، **وعقد باباً** في بيان فضل الشورى، **وباباً** في أدب صحبة الملوك، **وباباً** في سياسة الجيش، **وباباً** في أصول السياسة والتدبير.

وهكذا تابع أبواب كتابه حتى ختم بذكر مواعظ تنفع الراعي والرعية.

وسأقرأ عليكم شيئاً مما ذكره في الباب الخامس، واسمه: (**معرفة الأوصاف الكريمة وفضلها، وحث الملك عليها**) **قال**: (ينبغي للملك المنتصب لتدبير الرعية أن يتصف بالأوصاف الكريمة ويتلبس بها، ويجعلها له خلقاً مطبوعاً،... إذ بها قِوَام دولته، ودوام مملكته، وهي خمسة عشر وصفاً:

العدل، والعقل، والشجاعة، والسخاء، والرفق، والوقار، والصدق، والرأفة، والصبر، والعفو، والشكر، والأناة، والحلم، والعفاف، والوقار). ثم راح يتحدث عن كل وصف من هذه الأوصاف.

وها أنا أحدثكم شيئاً من حديثه عن العدل – واعلموا أيها الإخوة؛ أن العدل مطلوب منا جميعاً، الراعي مع الرعية، والرئيس مع المرؤوس، والأب مع أولاده، والزوج مع زوجته، وصاحب العمل مع عامله، وإن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة،ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، وذلك أن العدل نظام كل شيء–

يقول الشيزري: (اعلم أن العدل أشرف أوصاف الملك، وأقوم لدولته؛ لأنه يبعث على الطاعة، ويدعو إلى الألفة، وبه تصلح الأعمال، وتنمو الأموال، وتنتعش الرعية، وتكمل المزية، وقد ندب الله عز وجل الخلق إليه، وحثهم عليه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : 90]

قال الحسن البصري: إن الله تعالى جمع الخير كله والشر كله في هذه الآية. وقال: إن استقامة الملك بالثلاثة المأمور بها، واضطرابه بالثلاثة المنهي عنها.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:))ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات، فأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، وخشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر. وأما المهلكات: فشح مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه(([الطبراني]

حكي أن الإسكندر قال لحكماء الهند وقد رأى قلة الشرائع في بلادهم: لِمَ صارت سنن بلادكم قليلة؟ قالوا: لإعطائنا الحق من أنفسنا، ولعدل ملوكنا فينا.

فقال لهم: أيهما أفضل العدل أم الشجاعة؟ قالوا: إذا استعمل العدل استغني عن الشجاعة.

وقال أردشير: إذا رغب الملك عن العدل؛ رغبت الرعية عن الطاعة.

وقال أفلاطون: بالعدل ثبات الأشياء وبالجور زوالها.

وقيل لأردشير: من الذي لا يخاف أحداً؟ قال: من عدل في حكمه، وكف عن ظلمه؛ نصره الحق، وأطاعه الخلق، وصفت له النعمة، وأقبلت عليه الدنيا، فهنئ بالعيش، واستغنى عن الجيش، وملك القلوب، وأمن الحروب).

وكلكم يعلم – أيها الإخوة – قصة الهرمزان صاحب كسرى ملك خوزستان عندما جيء به أسيراً إلى عمر رضي الله عنه، فوافق ذلك غيبته عن منزله، فما زال الموكل بالهرمزان يقتفي أثر عمر رضي الله

عنه حتى عثر عليه في المسجد نائماً متوسداً درته، فلما رآه الهرمزان قال: هذا والله الملْك الهَنِيء، يا عمر؛ عدلتَ فأمنتَ فنمتَ، واللهِ إني قد خدمت أربعةً من ملوك الأكاسرةِ أصحاب التيجان، فما هبتُ أحداً منهم هيبتي لصاحبِ هذه الدرة.

وقد أنشدها حافظ إبراهيم قصيدةً عمريةً فقال:

وراعَ صاحبَ كسرى أن رأى عمراً ... بين الرعية عُطْلاً وهو راعيها
وعهدُه بملوكِ الفُرسِ أنَّ لها ... سُورًا من الجُندِ والأحراسِ يحميها
رآهُ مُستغرِقًا في نومِهِ فرأى ... فيهِ الجلالةَ في أسمى معانيها
فوقَ الثَّرى تحتَ ظلِّ الدَّوْحِ مشتملاً ... ببُردةٍ كادَ طُولُ العهدِ يُبليها
فهَانَ في عينِهِ ما كانَ يُكْبِرُهُ ... مِنَ الأكاسِرِ والدنيا بأيديها
فقال قولةَ حقٍّ أصبحتْ مثلاً ... وأصبح الجيلُ بعدَ الجيلِ يرويها:
أمنتَ لما أقمتَ العدلَ بينهمُ ... فنمتَ نومَ قريرِ العَيْنِ هانيها

● **أيها الإخوة:**

ختم الشيزري في كتابه (المنهج المسلوك) حديثَهُ عن العدل بذكره أن العدل لا يتحقق من الملك إلا بلزوم أمور منها:

إقامة منار الدين، وعمارة البلدان، وتهذيب السبل، والنظر في تعدي الولاةِ وأهلِ العزّ من الأعوانِ على الرعيةِ، لأن تعديَهم منسوبٌ إليه، ومنها الجلوس لكشف المظالم، ومنها اختيار خلفائِهِ في الأمورِ وولاتِهِ وقضاتِهِ وعماله؛ بأن يكونوا من أهلِ الكفايةِ والأمانةِ والحَذْقِ والدرايةِ فيما هم بصدده.

● **أيها الإخوة:**

هذا تقريرٌ مختصر سمح به الوقت للتعريف بواحدٍ من كتبِ السياسةِ الشرعية. عسى اللهُ أن ينفعَنا بما سمعنا جميعاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة : 8]

والحمد لله رب العالمين